طروحات

قاسم الشيخ بالحاج (*)

مقال على مقال
رؤية إلى جذور فرق الخوارج

هو مقال يتعرض فيه صاحبه لموضوع حساس، لانعكاساته السياسية والثقافية والدينية على الساحة العربية والإسلامية ماضيا وراهنا من خلال مختلف الظروف السياسية التي نشأت فيها الجماعة الإباضية، والمقال في ذاته هو رد على مقال آخر لصاحبه الدكتور عبد الله حمادي، الموسوم بـ: "التكفير والهجرة في فكر الخوارج" الصادر بمجلة النهج السورية.

تقديم:

اطلعت في مجلة النهج في العدد 63 الصادر في صيف 2001 بسوريا عن مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، على مقال بعنوان: التكفير والهجرة في فكر الخوارج لصاحبه الدكتور عبد الله حمادي.

وأثناء قراءتي له سجلت عليه ملاحظات عديدة في بعض المسائل التاريخية التي تناولها بالدراسة، كما أني أخالفه الرأي في الرؤية والحكم عليها. فرأيت أن أنشر هذه الدراسة أبين فيها رؤيتي للمسائل التي عرضها الأستاذ الكريم.

وفي حقيقة الأمر أن هذه الدراسة أعدت في وقت سابق لنشر الأستاذ حمادي لمقاله، ولكنها أتت توضيحا لنفس الأفكار التي يعرضها أستاذنا في مقاله هذا.

فأرجو من خلالها أن أوضح خيوطا رقيقة من تاريخنا الإسلامي الأول الذي ظهرت فيه الفتن وكانت سببا في تفرقة المسلمين الذين كانوا صفا واحدا وراء رسولهم الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم، وكونه بداية لنشوء المذاهب والفرق الإسلامية المختلفة سواء السنية منها أو الشيعية أو ما يحسب على الخوارج.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(*) استاذ بجامعه الجزائر.

كما أنه من مسؤولية كتاب التاريخ والدارسين له أن ينظروا إليه على ضوء ما يمليه العصر ومستجداته من جهة، وما يتطلع إليه أبناؤه من جهة أخرى.

من سعي نحو لم الشمل وتناسي الضغائن والأحقاد ودعوة إلى توحيد الكلمة ورص الصفوف لمجابهة الأعداد الحقيقيين الذين يتربصون لهذه الأمة في كل حدب وصوب.

وبذلك نحقق رسالة التاريخ التي هي إطلالة على الماضي لأجل بناء الحاضر واستشراف المستقبل.

الظروف السياسية لنشأة الفرقة الإباضية

مقدمة

تعتبر دراسة الفرق الإسلامية موضوعا مهما ضمن مواضيع الفكر الإسلامي، وذلك لما له من علاقة وطيدة بكل تفاعلات الحياة الإسلامية السياسية عبر حقبات تاريخها، ولما كان له من تأثير ولا يزال في حياة المسلمين سواء من قريب أو من بعيد، وبصفة مباشرة أو غير مباشرة.

كما ينبغي النظر إلى هذا التاريخ بكل أحداثه وبكل مخلفاته على أنه ملك للمسلمين عامة، وأنه تراث حضاري يشكل ذاكرة مشتركة لهم يجب الإعتزاز بها.

هذا حتى تكون دراسته على أسس علمية محضة، تمكن الوصول إلى النتائج الصحيحة، ويكون الاستفادة منها والبناء عليها لمواصلة درب الحضارة.

ولقد كان اختياري لهذا الموضوع، إنطلاقا من هذه الوجهة فقد حاولت أن أقدم تفسيرات وتحليلات لتلك الأحداث المتزامنة مع نشأة الفرق الإسلامية، ربما تكون مغايرة لما هو متعارف عليه لدى الكثير من الباحثين في هذا المجال.

وهذا لا لشيء إلا لكوني معتمدا في دراستي هذه على مصادر خاصة بهذه الفرقة، ربما يقل من يعتمد عليها من باحثي الفرق الإسلامية الأخرى، طبعا زيادة على المصادر العامة للتاريخ الإسلامي.

وقد حاولت في دراستي هذه تتبع أهم الأحداث المتزامنة مع نشأة فرقة الإباضية منذ كونها جماعة كغيرها ضمن جيش الإمام علي إلى أن أصبحت فرقة مستقلة برجالها وآرائها.

كما كان لي وقفات تحليلية لنقاط شكلت مدار هذه الأحداث، حيث أن الأخذ والرد مازال قائما حولها بين الباحثين إلى حد اليوم.

وقد كانت دراستي معتمدة في غالب الأحيان على المنهج التحليلي المقارن، عندما تكون النقطة الواحدة فيها خلاف بين المصادر السنية والمصادر الإباضية، وعلى المنهج الاستردادي عندما أكون محتاجا لسرد أحداث بعض الوقائع المرتبطة بالموضوع.

أما نقاط البحث فهي متمثلة فيما يلي:

1-ظروف ظهور جماعة النهروان.

2-مناقشة تسمية أهل النهروان بالخوارج.

3-ظروف ظهور جماعة القعدة (أصل فرقة الإباضية).

4-الإمام جابر بن زيد (الزعيم الأول لجماعة القعدة).

5-أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة (الزعيم الثاني للقعدة).

خاتمة: وضعت فيها مجموعة نتائج رأيت أن البحث توصل إليها.

إن هذه الدراسة المتواضعة هي محاولة لرسم صورة واضحة عن فرقة الإباضية في تلك الظروف السياسية الغامضة والمتداخلة.

كما لا أدعي الإصابة في كل ما ذهبت إليه، وإنما هي محاولة لإيجاد وجهة نظر جديدة مغايرة، فأرجو أن تكون علمية ومنهجية ونزيهة، وهي قابلة ومنتظرة لكل ملاحظة ونقد بناء.

-وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم-

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

1-ظروف ظهور جماعة النهروان

إن النزاعات الخطيرة التي وقعت بين المسلمين في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قد تسبب في تقسيم المسلمين إلى فئتين كبيرتين.

1-فئة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وأنصاره.

2-فئة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) وأنصاره.

إذ تطورت الأحداث إلى أن التقى الفريقان في معركة صفين سنة 36 هـ، وكان أن توقف الحرب قبل نهايته إثر رفع جيش معاوية للمصاحف مناديا بتحكيم كتاب الله تعالى.

وإثر هذا الحدث وقع خلاف في جيش علي بسبب قبول التحكيم أو عدمه، وبالتالي توقف الحرب، وافترق الجيش وخرجت منه جماعة اتجهت إلى حروراء حيث لم ترض بتوقيف الحرب وتحكيم الرجال.[1]

وتروي لنا المصادر التاريخية المفاوضات التي وقعت بين هذه الجماعة التي أصبحت تحمل اسم أهل النهروان- نسبة إلى المدينة التي نزلوا بها- وبين الإمام علي ومبعوثه عبد الله بن العباس.

إذ نفهم من روايات المبرد بأن الإمام علي بواسطة مبعوثه ابن عباس استطاع إقناع أهل النهروان بأنهم على خطأ وضلال[2]، وأنه يلزمها العودة إليه والدخول تحت طاعته، في حين نجد المصادر الإباضية تروي عكس ذلك.

فالشماخي في سيره يخبرنا أن أهل النهروان أقنعوا ابن عباس بعد مفاوضات طويلة بصحة موقفهم وأنهم على حق فيما ذهبوا إليه[3]، بل أكثر من ذلك حيث يلزم من الإمام علي نفسه الإنضمام إليهم، وذلك لكونه قد أسقط على نفسه الإمامة بقبوله ما يسفر عليه الحكمان. وأمام تضارب هاتين الروايتين يبقى معرفة الموقف الحقيقي والصحيح مرتبط بعدة قضايا تاريخية أخرى تزامنت أو تلت هذه الحادثة، ولعل ما سنتعرض إليه لاحقا سيساعد على فهم ذلك.

وفي موضوع تسميتهم يذكر لنا المبرد أن الإمام علي هو الذي سماهم بالحرورية لاجتماعهم بحروراء[4]، كما أطلق عليهم فيما بعد إسم المحكمة لما أصبحوا يحملون شعار "الحاكمية لله" و"لا حكم إلا لله" وينادون بها في المساجد.[5]

وتوالت الأحداث حتى ظهرت نتيجة التحكيم، التي خلع بموجبها الإمام علي فرأى أهل النهروان أن الإمامة قد سقطت من أعناقهم وأنه يلزمهم تولية إمام جديد عليهم، وبعد استشارات بينهم في تقديم الرجل الأنسب لهذه المهمة العظيمة ولوا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي.

إذ أن هذه الشخصية لها مكانة علمية وروحية عند أهل النهروان، وهذا ما نجده مذكورا عند مصادر السنة وكذا الإباضية، فيقول المبرد عنه: "وكان عبد الله بن وهب ذا رأي وفهم ولسان وشجاعة[6] ويصفه المؤرخ الإباضي الدرجيني في طبقاته قائلا: "فبايعوه وكان ذا رأي وحزم ودين وعلم، وقع به الائتلاف وارتفع في أيامه الإختلاف، فلم يزل يقول بالحق، ويحكم بالعدل ويلطف بالرعية ويقسم بالسوية حتى قبض رحمه الله.[7]

وبعد أن فشلت المفاوضات بين الطرفين اضطر لمقاتلتهم في وقعة النهروان سنة 38 هـ، ولم يبق منهم إلا عدد صغير تفرق في الأمصار المجاورة خاصة البصرة والكوفة.

2-مناقشة تسمية أهل النهروان بالخوارج

أ-تاريخ إطلاق التسمية عليهم

أما عن أصل مصطلح الخوارج ومن كان أول من تلفظ به وأطلقه على أهل النهروان فإن هذا مالم يكن تحديده واضحا، فمصادر التاريخ الإسلامي تذكر أهل حروراء -كما سماهم الإمام علي- وهم أهل

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

النهروان، باسم الخوارج إثر تفرقهم عن جيش علي مباشرة، دون أن تشير كيف كا ن ظهور هذا المصطلح الجديد ثم كيف كان إطلاقه عليهم ومن كان وراء ذلك.

ولكن ما يمكن أن يفهم من رواية المبرد أن هذه التسمية لم يكن ظهورها إلا بعد مناقشة الإمام علي لهم، قبل وقعة النهروان وذلك عندما قال: "أنتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء"[8] فهذه الرواية دالة أن تسمية الخوارج ما زالت لم تطلق عليهم، وإلا ما استفسر عما يسميهم.

وبذلك نستطيع أن نحصر تاريخ إطلاق هذه التسمية عليهم فنقول أنها كانت بعد سنة 37 هـ عندما كانت المفاوضات بين أهل النهروان والإمام علي جارية، لمحاولة إرجاعهم إلى بيت الطاعة.

ولعل ذلك التصلب الذي أبداه أهل النهروان في موقفهم وإصرارهم على ماذهبوا إليه كان من الأسباب المباشرة لإطلاق هذه التسمة عليهم.

ب-وقفة مع الأحاديث النبوية في موضوع الخوارج

أما أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الواصفة للخوارج مثل قوله صلى الله عليه وسلم: سيماهم التحليق يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، علامتهم رجل مخدج البدن "فإن هذه الأحاديث لم تعين أهل النهروان بذواتهم وإنما أتت واصفة لهؤلاء القوم، وهذه الأوصاف يمكن أن تنطبق عليهم وعلى غيرهم فكل من كانت صفاته تلك، فهو في عداد الخوارج. ويبقى السؤال المطروح: لماذا اقتصر إطلاق هذا المصطلح على جماعة النهروان دون غيرها؟ رغم وجود من خرج قبلهم عن الإمام -أمير المومنين- أمثال حزب معاوية، وحزب طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم وقبلهم القبائل المتسببة في قتل الخليفة عثمان.

إذ كل هؤلاء حملوا السلاح وأسالوا دماء المسلمين وأثاروا الفتن في الدولة الإسلامية وربما حجم فتنتهم أكبر من فتنة أهل النهروان بالكثير.

وقبل كل هذا لماذا لم تطلق هذه التسمية على من أنكر جزءا من الدين الإسلامي؟ وهم مانعوا الزكاة، فمن المعلوم أن إنكار جزء من الدين يخرج عن الملة ويعتبر صاحبه كافرا كفر شرك.

أما عن الأوصاف التي اشتمل عليها الحديث، خاصة قول الرسول صلى الله عليه وسلم "يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم" فإن من باب الموضوعية والصدق مع النفس أن لا يصح إطلاق هذه الأوصاف على أهل النهروان الذين فيهم من شهد بدرا وفيهم كثير من الصحابة، وكونهم جزءا من جيش علي، بل من خيرة جنده كما وصفهم هو بذاته، أنهم من الكفر هربوا، عندما سئل عنهم، وكما وصفهم المبرد: "والخوارج في جميع أصنافها تبرأ من الكاذب ومن ذي المعصية الظاهرة.[9]

وإلا كيف يقبلهم الإمام علي ضمن جنوده إذا كانت فيهم تلك الأوصاف وإن تحولهم بمجرد خروجهم عن سلطة علي أمر غير منطقي ولا معقول، مع كون خروجهم على أساس فهم للنصوص الشرعية.

ج-نتائج مستخلصة من التحليل السابق:

إذن بعد هذا التحليل حول إطلاق تسمية الخوارج على أهل النهروان يمكن استخلاص ما يلي:

1-أن هذه الأحاديث الواردة في موضوع الخوارج يمكن مناقشة متونها إن ثبت صحة أسانيدها، المتن يمكن أن يقدح في صحة الحديث، كما هو معروف في علم مصطلح الحديث.

خاصة الأحاديث التي وردت في مواضيع الفتن باعتبار أن الصراعات السياسية كانت على أشدها، والنزاعات بلغت ذروتها، فليس من الصعب على متعصب أو حاقد وضع مثل هذه الأحاديث وإسنادها إلى الثقات.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

2-عند افتراض ثبات هذه الأحاديث وصحتها متنا وسندا يبقى التساؤل مطروحا لم خص بهذه التسمية هذه الجماعة دون غيرها؟ رغم ما ظهر في التاريخ الإسلامي قبلهم وبعدهم ممن ارتكب من الفتن والحروب ما يفوق أعمالهم بأضعاف مضاعفة.

3-إن الصفات المذكورة في الحديث لا يعقل أن تطبق على أهل النهروان الذين فيهم الصحابة والتابعين والذين شهد بتقاهم وصلاحهم العدو قبل الصديق، ولكونهم لم يقوموا بأعمال عنف أو تكفير للمسلمين، سوى خروجهم الذي كان على اجتهاد وفهم وعلى أساس شرعي.

وأن من قام ونادى بالعنف وبتكفير المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم وأعراضهم هم الذين ظهروا في الكوفة والبصرة والعراق عامة بعد معركة النهروان سنة 38هـ.

حيث لا علاقة لهم بكل ما قاموا به، فهم ذهبوا إلى ربهم قبل وقوع كل تلك الأحداث، بل لو كتب لهم أن عايشوا ما حدث لما ارتضوا لدماء المسلمين وأموالهم أن تستحل، لذا فإن تحميل أعمال هؤلاء لأولئك لا مبرر له، كما لا مبرر لإطلاق تسمية أولائك على هؤلاء.

فأهل النهروان هم جماعة من المسلمين كغيرهم ممن قدر لها الله تعالى أن تعيش أحداث فتنة المسلمين، وقد كان لها موقف فيها حسب نظرتها واجتهادها في الحكم على الاحداث، كما كان لغيرها مواقف وآراء وأفعال أخرى.

3-ظهور جماعة القعدة: -أصل فرقة الإباضية

تحت هذا العنوان سنبين كيف كان منشأ فرقة القعدة والتي ستصبح فيما بعد تسمى بالإباضية، وهي ذات صلة مباشرة بجماعة النهروان.

بعد انتهاء معركة النهروان تفرق من بقي منهم في الأمصار المجاورة خاصة منها الكوفة والبصرة بالعراق.

وكان ممن قصد البصرة جماعة رأت ضرورة العمل الدعوى والتزام الهدوء ومحاولة تشكيل تجمع سري، لكونهم أقلية ضعيفة[10] في محيط سياسي يشدد الحصار على كل من لا يظهر ولاءه للحكم الأموي، ويقضي على كل من يشم منه رائحة المعارضة أو عدم الولاء.

وقد تزعم هذه الجماعة في بادئ الأمر: أبو بلال مرداس بن جدير التميمي، الذي يعتبر من كبار الشراة عند الإباضية، حيث تروي لنا المصادر الإباضية وكذا السنية أخباره مع عبد الله بن زياد القائد الأموي، الذي لم يستطع القضاء على جماعته إلا أثناء الصلاة في قرية آسك سنة 61 هـ.[11]

وقد اتسمت مرحلته بمحاولة تشكيل هذه الجماعة ووضع الأسس الأولية لها واستقطاب بعض الشخصيات إليها.[12]

وفي نفس الوقت شهدت ملاحقات ومتابعات ومضايقات من السلطة الأموية.

وبعد وفاة أبي بلال تولى الزعامة السياسية عبد الله بن إباض، ومما ترويه لنا المصادر أنه كان ذا صلة برؤساء الخوارج من نافع بن الأزرق وغيره، كما له اتصالات مع السلطة الأموية، خاصة مع الخليفة عبد الملك بن مروان، وقد ترك لنا التاريخ تلك الرسالة التي بعثها اليه يشرح له فيها موقفه من الأحداث والفتن.[13]

كما تذكر لنا المصادر أن عبد الله بن إباض وفي اجتماع مع رؤساء الخوارج أعلن انفصاله عنهم عندما اختاروا العنف والخروج لمحاربة السلطة واستحلال دماء المسلمين والحكم عليهم بالشرك وكان ذلك سنة 64هـ.[14]

ومن الراجح أن إطلاق تسمية القعدة عليهم كان إثر هذا الموقف الذي اختاره زعيمهم، وهي تعني قعودهم على حمل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السلاح وانتهاج سبيل العنف وعدم خروجهم للحرب مع الآخرين.

إن هذا الموقف المتخذ يعتبر تحولا كبيرا ونقطة انعطاف هامة في مسيرة هذه الجماعة حيث انتهجت لنفسها منحنى خاصا يميزها عن غيرها من الفرق الأخرى، خاصة منها فرق الخوارج وما وقعت فيه من أعمال عنف وتقتيل.

ولعل الذي لم يستطع تفهمه أكثر المؤرخين لهذه الحقبة ولم يستطع تقبله البعض الآخر منهم، هو هذا المنعطف الذي سجله رجال القعدة بمواقفهم وبأقلامهم، حيث لم يشاركوا الخوارج فيما ذهبوا إليه، بل نجد زعيمهم عبد الله بن إباض يعلن براءته صراحة من نافع بن الأزرق وأتباعه في تلك الرسالة التي بعث بها إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان.

وبذلك لم يبق لهم ما يجمعهم بالخوارج ولا بتلك الأعمال التي أنكرها عليهم كل الفرق الإسلامية.

ثم أصبح لها بمرور الوقت إدارة مستقلة وأنظمة قارة تسعى لتنظيمها وتحديد وجهة نظرها من الأحداث الجارية آنذاك وكيفية التعامل معها.

وإن الملاحظ في كتب التاريخ السنية هو الجهل التام بهذا التحول في مسيرة الحركة، وعدم تعرضها إلى هذه الأحداث الخاصة بهذه الفرقة، فتصنفها ضمن فرق الخوارج، وتنسب لها ما تنسب لغيرها من الفرق كالأزراقة والنجدية، دون أي تمييز.

ولعل مما ساعد على ذلك، كون هذه الجماعة –أي القعدة – تعتمد السرية في كل تحركاتها ونشاطاتها دون العلن، لهذا لم يكن من السهل التعرف على أتباعها ولا رجالها ولا أعمالها.

ومما زاد الطين بلة هو ما قام به كتاب المقالات من بعد حيث نقلوا أسامي لفرق وأشخاص ونسبوا لها آراء سياسية وفقهية وعقدية ثم نسبوها لهذه الجماعة ثم صنفوها ضمن فرق الخوارج.

وإذا عذر الأقدمون في وقوعهم في هذا الخلط لكون المصادر غير موجودة أو صعبة المنال، فإن المحدثين لم يبق لهم أي حجة في الوقوع في مثل الأخطاء السالفة أو تكرار وترديد ما جاء به الأولون، حيث كل وسائل البحث ومصادره بين أيديهم، وبأيسر تكلفة يمكن لهم الحصول عليها.

4-الإمام جابر بن زيد —الزعيم الأول للقعدة:

تعتبر المصادر الإباضية أن جابر بن زيد الأزدي العماني هو المؤسس الحقيقي لهذه الفرقة والواضع لمنهج سيرها، حيث انضم إلى جماعة أبي بلال عند مجيئه إلى البصرة، رغم أن أبا بلال يعتبر أول مؤسس لها.

كما تروي لنا المصادر أن كلا من أبي بلال وعبد الله بن إباض كانا يصدران في أمورهما عن توجيهات جابر بن زيد.

ومن الواضح أن المكانة العلمية لجابر هي التي خولت له ليكون الإمام والقائد الموجه والمدبر، ولقد انتهج في نشر دعوته العمل السري والتستر حتى لا تتمكن أيادي السلطة الأموية من الوصول إليها والقضاء عليها في مهدها. كما اعتمد كذلك على استعمال التقنية الدينية[15]، فكان يخفي انتماءه ويوصي أصحابه أن يحافظوا على السرية.

ولعل من الصور التي تجلت فيها هذه التقية هي تلك العلاقات التي كانت تجمع جابر بن زيد بالحجاج إذ كانت له زيارات دورية له في قصره، وقد بلغت ثقة الحجاج به إلى أن عرض عليه القضاء، لكن الإمام جابر رفض ذلك.[16]

وإن هذه التقية كانت سببا في نسبة المذهب إلى عبد الله بن إباض دون جابر بن زيد.

ومن الأسئلة التي يطرحها دارسو تاريخ الإباضية هي: لماذا لم ينسب المذهب إلى جابر بن زيد مع كونه هو المؤسس

الحقيقي له لدى الإباضية، ونسب إلى ابن إباض؟

إن لهذا التساؤل عدة تبريرات، واتخاذ جابر للتقية من أهم التبريرات، فلم يعلم من غير أتباع الحركة أنه ينتمي إليها، وكان معروفا بأنه محدث وفقيه تولى التدريس والإفتاء بالبصرة فقط.

أما عبد الله بن إباض الذي نسبت إليه الفرقة فقد تولى التمثيل السياسي، فتكلم ودافع عنها، وكانت توليته لهذا المنصب لما أوتي من قوة المناظرة والمحاججة، كما أنه ينتمي إلى قبيلة قوية آنذاك وهي قبيلة بني تميم والتي تولت حمايته، مما قد يلحقه من السلطة الأموية.[17]

5-الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة الزعيم الثاني للقعدة

بعد وفاة الإمام جابر بن زيد سنة 93 هـ تولى الإمامة من بعده تلميذه أبو عبيدة، وواصل السير على نفس خطى أستاذه، ملتزما بمبدأ الدعوة السلمية والسرية.

ولأبي عبيدة كذلك مكانة علمية معتبرة فهو التلميذ الأكبر لجابر بن زيد ولازمه طوال حياته وروى عنه أحاديث كثيرة وكان عضضه الأيمن في كل شؤون تسير الجماعة، لذا فقد اكتسب خبرة كبيرة من أستاذه، زودته بالتجربة الكافية لتحمل المسؤولية مباشرة بعد وفاته.

كما شهدت الدعوة في عهده تنظيما داخليا محكما بإنشاء مجالس للعلماء والأعيان والعامة، كل يقوم بدوره في المحافظة على الدعوة وتدعيم قواعدها وتنظيم صفوفها، هذا ما جعلها تشهد انتشارا أسرع في عهده وتصل إلى مناطق بعيدة عن قلب الدعوة في البصرة بالمشرق.

حيث تولى تكوين الدعاة في معهده الذي هو عبارة عن سرداب تحت الأرض يتظاهر فيه بصنع القفاف وهو يلقي على طلبته دروسه في العلوم الشرعية والفكرية المختلفة.

ثم يبعث بهم بعد نهاية التكوين الذي يستمر لعدة سنوات إلى المشرق والمغرب لنشر الدعوة هناك، حيث أيادي السلطة بعيدة وضعيفة، وبالإمكان التحرك والنشاط أكثر.

فيرجع إليه الفضل في إيصال ونشر الدعوة الإباضية إلى حضرموت وعمان بالمشرق وإلى ليبيا وتونس والجزائر بالمغرب.[18]

فما يخص المغرب فقد كان ذلك على يد البعثة العلمية التي تخرجت على يده سنة 140 هـ بعد أن مكثت بالبصرة خمس سنوات من سنة 135 إلى 140هـ في تلقي العلم في معهده.

وهؤلاء الخمسة معروفون عند الإباضية بحملة العلم إلى المغرب وهم: أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح، عبد الرحمن بن رستم، عاصم السدراتي، إسماعيل بن درار الغدامسي، أبو داود القبلي.

وبعد وصولهم المغرب أقاموا الإمامة الأولى بطرابلس سنة 140هـ كان إمامها أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح، ودامت أربع سنوات ثم سقطت سنة 144 هـ على أيدي العباسيين، ثم أقاموا الإمامة الثانية بتيهرت سنة 160 هـ إلى سنة 296 هـ وكانت نهايتها على أيدي الفاطميين.[19]

بهذا أكون قد أتيت على عرض وتحليل ظروف نشأة فرقة الإباضية منذ أن كانت جزءا من جيش الإمام علي في وقعة صفين إلى أن أصبحت فرقة ثم مذهبا مستقلا له تواجدات وإمامات في المشرق والمغرب.

خاتمة

بعد العرض الماضي لنقاط البحث يمكن أن نستخلص مجموعة نتائج متمثلة في ما يلي:

-أن أهل النهروان لم تكن لهم صلة بالخوارج الذين إعتمدوا العنف والتقتيل والاستحلال، فهم جماعة من الصحابة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والتابعين كغيرهم، خرجوا من جيش الإمام علي بناء على اجتهاد شرعي، ورأو فيه الصواب، وليس اتباعا للهوى، لذا لا وجود لمبررات علمية تسمح بإطلاق تسمية الخوارج عليهم.

-أن فرقة الإباضية كان منشؤها بعد معركة النهروان، وهي منفصلة عن فرق الخوارج ولم تشاركهم في أعمال العنف والتقتيل والتكفير وأعلنت براءتها من تلك الأعمال منذ بدايتها.

-أن فرقة الإباضية كان جذورها بالبصرة بزعامة الإمام جابر بن زيد ثم نمت وانتشرت في المشرق والمغرب على يد الإمام أبي عبيدة، ومع مرور السنين أصبحت مدرسة ومذهبا إسلاميا كغيره من المذاهب بآرائه المتكاملة.

-والحمد لله رب العالمين-

الهوامش:

(1)أمثلة على المصادر المتعرضة لأحداث الفتنة الكبرى: الكامل للمبرر، الكامل في التاريخ لابن لأثير. الإمامة والسياسة لابن قتيبة، سير المشايخ للشماخي، تاريخ الطبري.

(2)المبرد، الكامل، ج 2، 135، 136.

(3)الشماخي، سير المشايخ، ج1، ورقة: 50.

(4)المبرد، الكامل، ج2، ص 136.

(5)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج 3، ص: 135.

(6)المبرد، الكامل، ج2، ص: 122.

(7)الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، ج2، ص: 201-202.

(8)المبرد، الكامل، ج2، ص: 136.

(9)المبرد الكامل، ج2، ص: 122.

(10)عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، ص: 67.

(11)الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، ج2، ص: 214-215. المبرد، الكامل، ج2، ص: 182-187.

ونذكر هنا أن أبا بلال عندما خرج هو وثلاثون من أصحابه لم يكن لهم نية القتال بل كان خروجهم فرارا بدينهم وفرارا من جور الحكام الأمويين وهذا ما يذكره لنا المبرد على لسان أبي بلال "ولكنا نشد عنهم ولا نجرد سيفا ولا نقاتل إلا من قاتلنا" المبرد، ج2، ص: 183.

(12)على رأسهم الفقيه والمحدث جابر بن زيد الأزدي العماني الذي أصبح في ما بعد الزعيم الروحي للجماعة، وكذلك الشاعر عمران بن حطان الذي كان من الشخصيات البارزة تم سينفصل عنها هو مجموعة من أصحابه ليشكلوا فرقة الصفرية، وذلك بعد الاظطهادات التي لحقتهم من السلطة الأموية.

(13)نص هذه الرسالة موجود في كتاب الجواهر المنتقاة لأبي القاسم البرادي، ص:56.

(14)لقد كان ذلك في الاجتماع الذي وقع في إحدى جوامع البصرة بعد مقتل أبي بلال مرداس، البوادي، الجواهر ص 155-156.

(15)المقصود بها هو أن يظهر الإنسان غير ما يبطن، كما هناك خلاف بين الفقهاء في جوازها.

(16)الدرجيني، الطبقات، ج2، ص: 211، الصوافي: الإمام جابر بن زيد، ص: 155.

(17)الدرجيني، الطبقات، ج2، ص: 214.

عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، ص 79، 84.

(18)يراجع كتاب صالح الصوافي: الإمام جابر بن زيد ومنهجه في الدعوة، لمعرفة دور جابر بن زيد وأبي عبيدة في نشر الدعوة الإباضية، ص 169-176.

(19)لمعرفة تفاصيل الأحداث الأولى للإباضية بالمغرب يراجع: بحّار إبراهيم - الدولة الرستمية ص 59، وما بعدها.

قائمة المصادر والمراجع

1)-إبن الأثير، الكامل في التاريخ، دار بيروت للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، سنة 1965م، مج 3.

2)-بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية، ط1، مطبعة لافوميك، الجزائر، سنة 1985.

3)-البرادي أبو القاسم، الجواهر المنتقاة، طبعة حجرية، دت.

4)-الدرجيني أبو العباس، طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث قسنطينة، 1974م، ج2.

5-الشماخي أبو العباسي، سير المشائخ، طبعة حجرية، دت.

6-الصوافي أحمد، الإمام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة، وزارة التراث القومي، سلطنة عمان، 1982.

7)-عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، مطابع دار الشعب، عمان، الأردن، 1978.

8)-المبرد أبو العباس، الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت، دت.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com